مجلة جامعة صبراتة العلمية
Sabratha University Scientific Journal

مجلة علمية نصف سنوية محكمة متخصصة في العلوم الإنسانية
تصدرها جامعة صبراتة بشكل إلكتروني

مفهوم العقلانية في الفكر الفلسفي

The concept of rationality in philosophical thought

د.المبروك على أبو القاسم عبد الله
محاضر بقسم الفلسفة كلية الآداب الجميل - جامعة صبراتة
W11ryoadgjl@gmail.com

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية:
2017-139

الترقيم الدولي:
ISSN (print) 2522 - 6460
ISSN (Online) 2707 - 6555

الموقع الإلكتروني للمجلة:
https://jhs.sabu.edu.ly

مفهوم العقلانية في الفكر الفلسفي

The concept of rationality in philosophical thought

د. المبروك على أبو القاسم عبد الله*

ملخص:

لقد تطرقت في هذا البحث إلى رؤية على العقل والعقلانية وقد استشهدت في هذا البحث إلى أراء بعض من الفلاسفة والعلماء والكتاب على دور العقل والعقلانية في تغيير الإنسان وتحوله من مرحلة إلى مرحلة، من مرحلة التراث والتمسك بالعادات والتقاليد والآراء المتزمتة القديمة، إلى الحداثة والتحديث والتطور، وموازنة كل الأمور بالعقل والعقلانية، وتقدم العقل من خلال الولوج في التقنية والعلم التقني والعلوم التفسيرية وغيرها من العلوم التي تساعد الإنسان والمجتمعات الأوربية والعربية والإسلامية، في التقدم والانطلاق إلى عالم جديد وحديث فيه الحرية للفكر من كل المعتقدات والتراث القديم.

الكلمات المفتاحية: العقلانية – الفلسفة – العادات والتقاليد – التراث.

The concept of rationality in philosophical thought

Abstract

This paper discuses the notions of reason and rationality in philosophical thinking. The author cited the opinions of some philosophers, scientists, and writers on the role of reason and rationality in changing a person's perspective from adherence to old traditions and customs towards modernity, modernization, and development. This change also involves balancing all issues with reason and rationality, and advancing the mind through access to technology, technical science, and other sciences that help societies in progress and move toward a new , modern world in which freedom thinking is granted with no consideration of all traditional beliefs and heritage.

Keywords: rationalism - philosophy - customs and traditions - heritage.

مقدمة:

عندما نريد أن نبحث في العقلانية كمفهوم أو كمصطلح تداولي أو بحثي في العصر الحديث أو في الفلسفة المعاصرة وبالذات ما بعد الحداثة يعني هذا الفكر هو فكر التحولات والتساؤلات الكبرى من خلال وضع الفكر إي العقل محل أسئلة كثيرة من خلال النظر فيه أي من خلال العصور والعصر الحديث الذي أقصاه عصر التنوير ومن خلال تفسير العقلانية التي سادت من خلاله لهذا العصر الحديث.

وعندما ننظر إلى إشكالية العقلانية في العصر الحديث في جوهرها ليست محددة على فئة معينة بل هي عالمية وتختلف وتتعدد بتعدد الثقافات والحضارات والأمم.

ومن هنا فان العقلانيات العربية اليوم هي حقبة وجود يحمل في ذاته تناقضات العصر الذي يحياه، الشيء الذي حمل الفكر العربي منذ نهاية القرن الماضي إلي محاولات عدة لتجاوز واقع خلال

* دكتوراه الفلسفة
محاضر بقسم الفلسفة كلية الآداب الجميل - جامعة صبراتة
W11ryoadgjl@gmail.com

تجاوز التراث باعتباره ماضيا مختلفا غير مساير لما بالحياة وذلك باستلهامه مفاهيم من الفكر الأوربي.[1]

وعند تعريفنا اصطلاحيا للعقلانية في الفلسفة نقول: إنها النظرة المعرفية للأشياء التي تعد العقل مصدرا رئيسيا في كل الأفكار والآراء وترجحه ترجيحا تاما.

إن العقلانية أو التفكير العقلاني هو التفكير الذي يساعد الإنسان على تحقيق حاجاته وأهدافه الأساسية دون المساس بأهداف وحاجات غيره.

إن العقلانية تنطلق من القول بأن شيئا لا يمكن أن يوجد بدون سبب، وهو أمر يحاول التركيز على العقلانية التي ترفض اعتبار إمكانية أن يكون هناك شيئ غامض على الفكر البشري عموما وعلى التفكير الفلسفي خصوصا، وهذا ما يشير برأينا إلى أن العقلانية جاءت في مرحلة بزوغ الفكر الفلسفي الذي بدأ يرفض التفكير الأسطوري والغيب، ولكن لالاند يسود ليقدم لنا تعريفا آخر، إذا يقول: "العقلانية مذهب يرى أن كل معرفة يقينية تصدر عن مبادئ لا تقبل الدحض قبلية، بينة، تكون حصيلتها اللازمة، ولا يمكن للحواس أن تقدم عنها سوى نظرة ملتبسة وظرفية، نظرة عابرة إلى الحقيقة، مثل: ديكارت، سبينوزا، هيجل".[2] ونجد أن هناك من يعتبر أن العقلانية لها دور مهم في الفلسفة وقد عرفها بعض الفلاسفة على أنها القدرة على التفكير والتحليل والتميز.

وهناك من عرف العقلانية على أنها أداة تمييز، وهناك من يعتبر العقلانية أداة التفكير والوعي والتحليل المنطقي وتساعد الفرد على فهم العالم والحياة بشكل أعمق.

وهناك من العلماء والفلاسفة من يوصي بأن يكون للفرد عقل واعٍ ومرن وقادر على الاستيعاب، ومنهم من يعتبر العقلانية أداة للتطوير والتحرر من خلال استخدام العقل بشكل متوازن وصحيح.

وقد اختلفت العقلانية باختلاف توجهاتها حيث إن العقلية العلمية التي هي نموذج العقل فيها هو العقل الطبيعي المرتبط بالحس والواقع ونجد أن في العقلانية الليبرالية التي تسعى في محاولة لتأسيس الحرية على أساسيات العقل، ونجد أن هناك عقلانية إصلاحية وهي تحاول فهم الدين فهما عقلانيا واستغلاله فيما يخدمها.

ونجد أن كلا من هذه الاتجاهات أو التيارات مختلفة وتعتمد على اتجاهين أو مصدرين وهما المصدر الخارجي الذي يركز على أصل العقلانية وجذورها في التاريخ الغربي واتجاهات أو مصدر داخلي في جذور العقلانية القديمة في الأصول للتراث الإسلامي.

فنجد أن العقلية الليبرالية حاولت الجمع بين المصدر الداخلي للعقلانية القديم والمصدر الخارجي الحديث على وضع متوازن بين الطرفين أما التيار العلمي فإنه أقرب إلى المصدر الخارجي في العقلانية العلمية الغربية الحديثة، وبعيد كل البعد عن المصدر الداخلي في التراث الإسلامي القديم مع محاولة عدة فلاسفة بيان نظرية التطور في الإسلام، أما بالنسبة للعقلانية الإصلاحية فهي أقرب إلى العقلانية القديمة في التراث القديم وبعيدة كل البعد على جذور العقلانية الحديثة في التراث الغربي، وعندما نريد أن نركز

على العقلانية التي تنكر وجود أشخاص غامضين في الفكر البشري وعلى التفكير الفلسفي خصوصا فهذا ما يؤكد أن العقلانية جاءت في مرحلة بزوغ الفكر الفلسفي.

العقلانية عند ابن رشد:

ابن رشد هو أبو الوليد، محمد بن أحمد المعروف بابن رشد فيلسوف أندلسي مسلم درس الفقه والأصول والطب والرياضيات والفلك والفلسفة وبرع في علم الخلاف مارس الطب وتولى القضاء في قرطبة، ولد في قرطبة بإسبانيا عام 1126 وتوفى في مراكش بالمغرب عام 1198.

عندما نغوص في ابن رشد يتضح لنا أنه لم يكن غرضه تجميع المعرفة بدون ضوابط، بل تحصيل الأمور الكلية، حاذفا الآراء التي تعد غير ضرورية في حصول الكمال الإنساني، مميزا بين القوانين التي تعتبر ضرورية في الكمال، مثل القوانين التي تستعمل في صناعة البرهان، ويعتمد المنهج النقدي على القدرة التحليلية والقدرة الجدلية، والركون إلى أسلوب التهويل والتشويش، وذلك بتكرار النقد الواحد على أكثر من صورة، وفي أمكنة عدة لإظهار تهافتها بعد تشويشها والاعتماد على المغالطة، ومن هنا لم يكن النقد كاشفا فقط لأفكار ومذاهب تجمدت في عصور سابقة ومعاصرة لابن رشد، بل وكاشفة أيضا عن أوجه من العقلانية العميقة عند هذا الفيلسوف، ومنيرة لكثير من الأفكار الموجهة والمبادئ المتحررة التي نسعى إلى امتلاكها في عصرنا، فالنقد إذا هو التنوير الذي يعني في نهاية التحليل تحريرا لكل ما يصنعه الإنسان، وإخضاعه إلى قدرته التي تتكشف جميعا حول العقل بوصفه معيارا ودليلا مرشدا، ومن أشهر الحجج التي قدمت على العقلانية عند ابن رشد، هي دعوته المشهورة لفصل الشريعة عن الحكمة،[3] ومن الدلائل القوية التي كان يستدل بها على عقلانيته في مجال المعرفة قوله بأن العلم هو علم الماهية. لقد كان ابن رشد عقلانيا لأنه فيلسوف، المتصل سواء على مستوى الجوهر أو على مستوى المقولات العرضية، كالزمان والمكان والفعل، وكثير من الدلائل التي تدل على أن ابن رشد عقلاني، منها البحث عن الأول في كل شي على مستوى العلل والمقولات والمحركات والعقول والمواد لضمان نظامها، والمبدأ العلي فيها، ولقد أرسى العقل النظري في قلب الشريعة في نظريته، وقد قسم العقل إلى عقل علمي وعقل نظري. ويعد ابن رشد صاحب أصرح اتجاه عقلي بدعوته إلى تحكيم العقل باعتباره الدليل والحكم وإعلاء كلمته فوق كل كلمة.[4] وفي توضيح للحقائق الإيجابية في فلسفة ابن رشد هناك أسباب دعت بعض العلماء والفلاسفة إلى محاربة العقلانية الرشيدية، فإن ابن رشد يعد أكبر شارح إلى فلسفة أرسطو، وقد تولى الدفاع عن الفلاسفة معارضا آراء الإمام الغزالي التي تحامل فيها على الفلاسفة المسلمين، مما جعل المتكلمين واللاهوتيين يتهمون ابن رشد بالإلحاد. وكان ابن رشد أول من حاول التوفيق بين الشريعة والحكمة، وبفضل الترجمات التي قام بها النصارى واليهود في جنوب أوروبا، خلال القرون الوسطى، وقد درس الكثير من فلاسفة أوروبا كتب ابن رشد وقد ظهر منهم الرشيديون.[5] وأما

العرب فقد أهملوا العلوم العقلية بعد وفاة ابن رشد، وكان ذلك من بين العوامل التي أدت إلى انحطاط الحضارة العربية والإسلامية منذ نهاية القرن الخامس عشر ميلادي إلى غاية النهضة العربية الحديثة.

ويعد ابن رشد حامل لواء الفلاسفة العقلانيين، وقد رد في كثير من المسائل وعلى الخصوص الإمام الغزالي، صاحب كتاب تهافت الفلاسفة الذي عارضه ابن رشد، وأما وجه الخلاف بينهما فيكمن في وجود الكون والخالق والفناء، فبينما يقول المتكلمون بحدوث الكون والتصرف المطلق للخالق وخلود الروح يرى الحكماء أن الكون لم يخلق من العدم وإنما من المادة، وأن الأسباب هي التي تؤدي حدوث الأشياء في الكون، لأن الخالق ليس مسئولا عن تصرف المخلوق من خير وشر، أما خلود النفس فقد انقسم فيها الفلاسفة إلى فريقين، فريق يذهب إلى وجود عقل عام فعال وعقل فردي منفصل، وأن الخلود لا يكون إلا للعقل العام إي للإنسانية، أما الإنسان فإنه يفنى في العقل العام، وهذا الرأي إنما يتناقض مع العقيدة. أما الفريق الآخر فيعتقد بخلود الإنسان وهو بذلك لا يختلف مع المتكلمين، وكان ابن رشد قد ذهب إلى الرأي نفسه في بعض مؤلفاته، غير أنه لم يعلق على مذهب أرسطو أثناء شرحه لآرائه، وهذا الغموض عند ابن رشد جعل المتكلمين واللاهوتيين يعتقدون بأن حكيم قرطبة لا يؤمن بخلود الروح، وإنما أسيئ فهمه في شرح أرسطو، لقد كان دائما يذهب مذهبا معتدلا عندما يتعلق الأمر بالمسائل الخطيرة.[6]

رينيه ديكارت:

وعندما نتكلم على العقل والعقلانية في العصر الحديث يجب ألا ننسى رينيه ديكارت الذي أسس المذهب العقلي الذي تم وصفه بأبي الفلسفة الأوروبية الحديثة وقد كان لأتباعه دور كبير في نشر هذه الفلسفة العقلية في مختلف دول أوربا، وقد تأثر بهذا التيار مجموعه كبيرة من الفلاسفة من بينهم ولايبتتز في ألمانيا واسبينوزا في هولندا ومالبرانش في فرنسا وهم للتوضيح لا للحصر.

ونجد أن العقلانية لمذهبه الفلسفي تتجه إلى أن العقل هو المصدر النهائي للمعرفة ومستبعدة كل ما ليس عقلانيا أو عقليا وبذلك لا يكون فيها معيار الحقيقة حسيا بل فكريا فتأخذ الطابع العام للمعرفة من العقل.

كانت حياة رينيه ديكارت من 1596 إلى 1650م وقد ولد في فرنسا والتحق في سن الثامنة بكلية لافليش اليسوعية طيلة ثمان سنوات درس فيها اللغات القديمة والمنطق والأخلاق والرياضيات وبعدها التحق بجامعة بواتييه حيث حصل بعد عام على شهادة البكالوريوس وإجازة في التشريع والقانون المدني[7]، لقد كانت حياة ديكارت العلمية قصيرة لأنه بدأها متأخرا ذلك لأنه لم يبدأ في البحث متأخرا جدا، لقد بدأ في البحث المكثف في الفلسفة والعلوم الطبيعية بعد سن الثانية والثلاثين من العمر وبقى بعدها مدة طويلة أكثر من اثني عشر عاما لنشر أول مؤلفاته التي كانت الانطلاقة الحقيقية له.

فلسفته:

ويعتبر ديكارت من أعظم فلاسفة القرن السابع عشر، ومن رواد الاتجاه العقلي في الفلسفة حيث نادت فلسفته بالحق الذي برهنت عليه في وضوح وجعلته اعدل الأشياء وسمة بين الناس.[8]

منهجه:

عندما نتكلم عن منهج ديكارت نجد أنه ابتكر منهجا جديدا مغايرا لمناهج البحث الفلسفي التقليدي التي كانت موجودة في العصور التي سبقته، التي تمثلت في المنهج الاستدلالي الأرسطي والمنهج الاستقرائي، ويمكن أن نميز المنهج الديكارتي على أنه قاعدة البداهة واليقين والتي تقوم على عدم الميل الهوى بل إلى العقل وتجنب التسرع في الأحكام وعدم قبول إي شيء غير عقلي.

الشكل المنهجي عند ديكارت:

الشكل المنهجي عند ديكارت (شك بناء) فهو وليد تجربة شخصية عقلية، فديكارت وجد أمامه تراثا علميا ودينيا كثرت حوله الأقاويل وتعددت حوله المذاهب والآراء، فهذا التراث الذي عايشه لم يجد فيه شيئا يطمئن إليه بصفة مطلقة أو يقنعه، فاصطلح له الشك (منهجا) لبلوغ اليقين في جميع المعارف والنظريات. فقد أخذ يشك في جميع ما اكتسبه من معارف ومعتقدات، وبدأ بالنظر إلي العالم من جديد.[9] فنجد الشك الديكارتي هدفا للحقيقة فهو يذهب إلى تحديد العقل من سيطرة الحواس ويقيه من مجرد الاحتمالات ويركز تركيزا شديدا على اختيار القضايا والبرهنة عليها ويشعر بالأمل في الوصول إلى قضية أو مبدأ يعلوا على مستوى الشك بما يتضمنه من صدق ويقين، فالشك عند ديكارت هو وسيلة منهجية من أجل الوصول إلى الحقيقة التي لا يمكن أن يتطرق إليها الشك وكل هذا يحدده العقل والعقلانية في تسيير الأمور.

ايمانويل كانط:

ولد كانط بكونسبرج سنة 1740 من أبوين فقيرين وعلى جانب عظيم من التقوى والفضيلة، في الثامنة من عمره دخل إحدى المدارس التابعة للشيعة التقوية، وأتم برنامجها في السادسة عشر، أعجب فيها باللغة اللاتينية كما أعجب بالرواقية الرومانية وما تنطوي علية من نبل وشجاعة، وبعد هذه المدرسة اتجه إلى كلية الفلسفة بجامعة مدينته يقصد دراسة اللاهوت ليصير قسيسا لكنه عدل عن هذا المقصد فيما بعد. تتلمذ لأستاذ بالكلية للرياضيات والفلسفة والتقوية ومن اتباع فولف، وفي عام 1746 تقدم برسالة جامعية حاول فيها التوفيق بين ديكارت وليبنتز في مسالة قياس قوة جسم المتحرك، ونشر في نهاية 1755م كتابا في التاريخ العام للطبيعة ونظرية السماء، طبق فيه أصل العالم القوانين التي فسر بها نيوتن النظام الراهن للعالم، وفي تلك السنة استطاع أن يستقر بكونجسبرج حيث حصل على درجتين جامعيتين، الأولى برسالة في النار والثانية برسالة في المبادئ الأولى للمعرفة الميتافيزيقية ثم عين أستاذا خاصا بالجامعة.[10] وكان آخر فيلسوف مؤثر في أوروبا الحديثة في التسلسل الكلاسيكي لنظرية المعرفة خلال

عصر التنوير وكان أكثر أعماله شهره هو نقل العقل المجرد الذي هو يحث استقصاء عن محدوديات وبنية العقل نفسه.

لقد قال ايمانويل كانط عن العقل إذا كان العقل قد لا يفترض ويفكر على أنه يقدم إي شي ابعد مما يمكن أنه يقدمه العقل النظري من منظاره فإن الأخير له الأسبقية، وبالتالي فإن العقل النظري له الأسبقية على العقل العلمي إذ لم تكن هناك افتراضات مقدمة من قبل العقل العلي لتوحيد الأفكار الثلاثة.[11]

منهجيته:

ابتدع كانط نظاما مبتكرا في نظرية المعرفة هو مزيج بين المدرستين العقلية والتجريبية فأهل المدرسة التجريبية يرون أن المعرفة لا تكون إلا عن طريق التجربة لا غير، وأما أهل العقلية فيرون أن نظام الشك الديكارتي وأن العقل وحده يمدنا بالمعرف.[12] يعد الفيلسوف الألماني كانط إمام المذهب النقدي في المعرفة وقد رأى أن كل من المذهب العقلي والمذهب التجريبي يجانب الصواب الأول لأنه يتشبث بالأفكار الفطرية والآخر لأنه يبني على التجربة الحسية دون غيرها، وكان على كانط أن يتولى الرد على هيوم، وهو يذكر أن نقد هيوم الفلسفي قد أيقظه من سباته الدوجيماطيقي، وقد توسط كانط بين شكية هيوم التجريبية من ناحية وبين الديجماطيقية، أو القطعية العقلية من ناحية أخرى، ويقر كانط بأن في كل من المذهب العقلي والمذهب التجريبي حقائق لا يمكن إغفالها.[13]

العقلانية عند كانط هي فلسفة ترتكز على العقل والمنطق والدراسات العلمية المنطقية وتفسر الظواهر الطبيعية بطريقة علمية وتنطوي الفلسفة العقلانية على المنافسات والبحث العلمي والمنطق لتحديد الحقائق الأساسية والمبادئ الأخلاقية وتهدف الفلسفة العقلانية إلى تطوير نظريات مفهومية ونحو تحقيق الاشتراك الفعال لأشخاص في ديمقراطية المجتمع وتركيز على الحرية والمسؤولية الفردي.[14]

والعقلانية هي القدرة على التفكير واتخاذ القرارات وفقا للمنطق والعقل والمعرفة، وتعني العقلانية أيضا القدرة على تحليل المعلومات والوقوف على الحقائق والأدلة المتاحة قبل اتخاذ قرارات نهائية، وتعتبر العقلانية مهارة هامة في حياة الفرد حيث تساعده على التفكير بشكل منطقي وتحليل الوضع بشكل صحيح واتخاذ القرارات الصائبة[15] ونجد أن تأثير مفهوم العقلانية في الفلسفة الحديثة بسقراط وفلسفته إلى حد كبير، فقد كان سقراط يؤمن بأن العقلانية هي السبيل الوحيد لتحسين حياة الإنسان وأنها الطريقة التي يتمكن بها الإنسان من القيام بأفعاله بصورة صحيحة ومنطقية، وقد أكد سقراط على أن العقل البشري هو ما يحدد مفهوم الحقيقة، وأن الحقيقة لا يمكن الحصول عليها إلا من خلال الاستدلال العقلي والمنطقي، ومنذ ذلك الحين استمر مفهوم العقلانية في تطوره ونموه في الفلسفة الحديثة، حيث برز عدة مفاهيم مرتبطة بالعقل، مثل العلمانية والعلمية الواقعية والشيوعية.[16] ولما سبق ولأن العقل يعتبر هو

الركيزة الأساسية في الفلسفة الحديثة وهو العنصر الرئيس للفلسفة الحديثة، فإن الفلسفة الحديثة اعتبرت العقلانية هي المفهوم الأساسي لأنه يؤدي إلى الحقيقة وتحقيق العدالة والمساواة في المجتمع البشري.

إذا كان العقل في جوهره عالمي الهوية والجذور إنساني الملامح والآفاق، فإن العقلانية غير ذلك، إذ هي تتعدد بتعدد الثقافات والأمم، ومن ثم فإن العقلانية العربية اليوم هي حقيقة وجود يحمل في ذاته تناقضات العصر الذي يحياه، الشيء الذي حمل الفكر العربي منذ نهاية القرن الماضي إلى محاولات عدة لتجاوز واقعه من خلال تجاوز التراث، باعتباره ماضيا مختلفا غير مساير لما يحياه، وذلك باستلهامه مفاهيم من الفكر الأوروبي ليتمكن من التوفيق وإقامة التوازن بين واقعه وواقع مغاير له، انطلاقا من إنهما لحظتان فكريتان مختلفتان، حيث الفكر الطبيعي والتقني هو نتاج أوروبا الحديثة والأفكار الروحية هي تراثه، ومن ثم أجريت عملية تكييف ومحاولة تبيئة للفكر التقني الأوروبي، لكي يتوافق مع الأفكار الروحانية، كما أجريت عملية مماثلة للأفكار الروحية، لكي تقبل التقنية وأصبح بالتالي جوهر المشكلة هو ما الذي نأخذه من الآخر باعتباره متقدما، وما الذي نتمسك به في تراثنا؟ فلا شك أن الصدمة التي حدثت بيننا وبين الآخر قد أفضت بالضرورة إلى دخول ثقافة الآخر، على مجتمع يحوي ثقافة واحدة، أو نقول فكر واحد وهي الثقافة العربية الإسلامية التي تمثل ثقافة الأمة كلها. هذا الدخول الذي أدى إلى نشوء تضاد بين ثقافتين، ثقافة أوروبية في مقابل ثقافة عاجزة على إنتاج فكر، فكان من نتاج تلك الصدمة دخول النزعة العقلانية إلى المجتمعات العربية الإسلامية، دون مجابهته، تضمن استبدال مغزى أعمق مما هو بادٍ يعبر عن انكماش الذات، الأنا، الهوية، وتقوقعها وانغلاقها، خوفها من الآخر، ولا يحدث هذا الانكماش في اعتقادنا إلا حينما تكون البنية الثقافية المعبرة عن الذات والانا والهوية عاجزة أو ميتة.[17]

إن العقلانية لم تكن لتعني منظومة مبادئ فلسفية مجردة فقط ولا سيطرة على الطبيعة الإنسانية فحسب، بل إنها حولت العقل عند الفلاسفة والمفكرين، وخاصة عند المفكر السياسي والديني والأخلاقي والفلسفي إلى نظرة مغايرة على ما كان عليه وعلى ما كان يقال على الإنسان العربي من خلال الدين والدولة.

العقلانية عند بوبر:

من المفترض أن تعتمد المناهج العقلانية على ما يهدف العلم إلى تحقيقه، وتعتمد الأهداف العقلانية على المناهج المتاحة. يكرس بوبر الكثير من الاهتمام لمسألة الأهداف، ويرتكز جوابه في أن العلم يهدف إلى نظريات حقيقية ومثيرة للاهتمام، نظريات حقيقية ذات محتوى تجريبي متعمق. إلا أنه، بالمفارقة، من الواضح أن "منهجه في التخمين والدحض" أو "منهج التجربة والخطأ"، كما يصفها في كثير من الأحيان، غير مناسب لهذه المهمة. لا يخبرنا المنهج عن كيفية تحقيق هذا الهدف، أو كيفية التعرف على بلوغ الهدف متى حصلنا عليه، أو حتى ما إذا كنا أقرب إلى الحقيقة من ذي قبل. علاوة على ذلك، وفقًا لبوبر نفسه، من غير المحتمل أن نحقق الهدف كليًا أو جزئيًا في هذه الحالة، لمَ الحقيقة مهمة

كهدف؟ هل يتبع ديكارت وبيكون في الخلط بين الحقيقة والمنفعة؟ من غير المحتمل، لأن بوبر يزدري الاعتبارات العملية.

ومع ذلك، يكتب بوبر:

لنفترض أننا جعلنا مهمتنا أن نعيش في عالمنا المجهول هذا، لنتكيف معه بقدر ما نستطيع، للاستفادة من الفرص التي يمكن أن نجدها فيه، ولكي نشرحه، إن أمكن... بمساعدة القوانين والنظريات التفسيرية. إذا كنا قد جعلنا هذه مهمتنا، فلا يوجد إجراء أكثر عقلانية من طريقة التجربة والخطأ والتخمين والدحض والخلاف الجوهري بين بوبر والوضعية المنطقية في مبناه ومعناه هو خلاف حقيقي وأصيل حول جدوى الفلسفة ذاتها وأهمية وجودها. فعلي حين ذهبت الوضعية المنطقية إلى اعتبار أن المشكلات المطروحة على العقل الفلسفي برمتها ليست سوى مشكلات سوي مشكلات زائفة ولغو فارغ يتكشف زيفها بمجرد إخضاعها لمجهر التحليل اللغوي المنطقي، في المقابل نجده يصر على أن المشكلة الكوزمولوجية لا تزال هي المشكلة الجديرة بالاعتبار بالنسبة للفلسفة. فالنظرية العلمية تقوم علي بعدين هما البعد الابستمولوجي الذي يقوم على حالة معرفية ذات صياغة علمية واضحة وبسيطة، والبعد الثاني يتعلق بالناحية الإخبارية في اتصالها بواقعة متحققة في العالم الخارجي.[18]

النظرية العلمية عند بوبر هي مشروع استراتيجي كبير يتعامل مع كافة الأفكار المطروحة على العقل البشري من حيث محتواها المعرفي وعلاقتها المنطقية وأسسها المنهجية بعيدا عن فكرتي الاعتقاد والحكم أو عن ذاتية المعرفة. والعلم لديه نوعية خاصة من المعرفة الخالية من الاعتقادات الذاتية، الأمر الذي جعله يرى أن الإبستمولوجيا ارتكبت غلطة ذاتية Subjective Blunder جعلتها تنحرف عن جادة الطريق الموضوعي. وقد عمل بوبر على تنقية الإبستمولوجيا من هذا الخطأ، لأن المعرفة الذاتية الاعتقادية لا تساوي شيئا في عالم المعرفة العلمية الموضوعية، فما دامت المعرفة صيغت في لغة، فهي موضوعية، وهذه الموضوعية تنسحب على العلم.[19]

العقلانية التواصلية في فكر هابرماس:

ان العقلية التواصلية هي مفهوم فلسفي يتمحور حول تحليل الطرق التي يتم بها بناء المعرفة، واتخاذ القرارات وحل المشكلات في المجتمعات الحديثة، ويعود الفضل في تطوير هذه الفكرة إلي الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس المولود سنة 1929.

ووفقا لفكر هابرماس فان العقلانية التواصلية تتطلب أن يتم الحوار والتفاعل بين جميع أفراد المجتمع، وان يتمثل هدف هذا الحوار في بناء مختلف الأنواع من المعرفة سواء كانت علمية أو تجريبية، أو معرفة العادات والتقاليد أو شؤون أخرى، ويبنى هذا الحوار على الاعتراف بأن كل صوت في المجتمع يجب أن يتم إدراجه في الحوار وان يتم تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال الحوار العقلاني الحر وغير المتحيز.[20] ويفترض هابرماس أنه بعد أن يتحدث الأفراد الذين يمثلون أصواتا متعددة ومتقاربة، يمكنهم

التوصل إلى تفاهم مشترك، وحلول راضية عند النهاية، ومن المهم أن يتحلى كل شخص بالتفاعل الوضوحي والذي يفهم الآخر تماما لقوله، والاعتراف بأنه يتم استنادا لهذا الوعي الإدراكي العام بين الأشخاص لتحقيق القرارات والتشخيص وترتيبها، ويكبر هذا التفاعل الوضوحي بمرور الوقت بالتدريج، على الرغم من وجود الخلافات والفتور في البداية، ويشتمل هذا المفهوم على مفهوم المؤسسية والحوار الناقد الذي يعترض على القوة والمصادرية المطلقة.[21]

العقلانية عند لاكاتوس:

على الرغم من أن المنهجية عند لاكاتوس ليست ممارسة علمية بحد ذاتها، هي بالمعنى الواسع "الاستدلال على طول الطريق". يطلق لاكاتوس (المولود سنة 1943) على المناهج العلمية مصطلح "منطق الاكتشاف" أو "الاستدلال"، والتي يهدف تطبيقها إلى زيادة المعرفة، فالمنهجية هي إعادة البناء العقلاني لأنماط النمو المعرفي. يميز لاكاتوس صراحةً بين الاعتبارات الاستكشافية والمعرفية وينتقد محاولة دمجها لأنها "تبريرية". تعتبر وجهة نظر لاكاتوس انعكاس راديكالي لتعريف كارناب للمنهجية مع نظرية التأكيد. كانت المشكلة المنهجية لنمو المعرفة والمشكلة الأساسية للتبرير هما المشكلتان المتلازمتان لنظرية المعرفة الكلاسيكية. فبحسب قول لاكاتوس، بما أن نظرية المعرفة التأسيسية قد انهارت، فإن المشكلة المنهجية، وليست مشكلة التبرير، هي ما يجب أن تكون محور نظرية المعرفة المعاصرة للعلم. لكن كارناب وأتباعه تابعوا بإصرار المسار الأخير. حيث أصبحوا منغمسين جدًا في القضايا التأسيسية المعرفية واليائسة والمشاكل التقنية المحيطة بهم لدرجة أنهم "لم يبدو حتى أن لديهم كلمة لما كان من المعتاد أن يُطلق عليه "المنهجية" أو "الاستدلال" أو "منطق الاكتشاف" وبدلًا من ذلك، قاموا "بمصادرة" مصطلح "المنهجية" لوصف المنطق الاستقرائي التطبيقي. يوافق لاكاتوس على أن مشاكل التقييم مهمة ولكن، يعتقد أن كل ما نحتاج إلى قوله عن التقييم سيكون نتيجة تقييم قابل للخطأ لنمو المعرفة التخمينية. بعبارة أخرى، بالنسبة للاكاتوس، من المثير للاهتمام أن التقييم نفسه منهجي لا ينفصل عن المنهجية بل مشتق منها.[21]

لقد كتب الدكتور جابر عصفور في آخر مقالاته دفاعا عن العقلانية –1 في بوابة الأهرام:

ان العقلانية هي الوعي الذي يحرك الحداثة والتحديث في كل مستوياتهما وعلاقتهما على السواء ولا يكتمل له ذلك إلا في مناخ من الحرية التي تفتح أمام العقل كل أبواب الاجتهاد، دون الخوف من الخطأ أو القمع المعرفي أو السياسي أو الديني، ولذلك لا حداثة ولا تحديث دون شيوع الفكر العقلاني الحر في المجتمع، وأولويته في العقل الجمعي الذي يفكر في المستقبل، وأكد الدكتور جابر عصفور انه شعر بحاجتنا الشديدة إلى العقلانية والى التمسك بها كالحرية سواء بسواء، وإنه تأثر بالفكر العقلاني للمعتزلة في القرن الثالث للهجرة قبل أن يتأثر بالفكر الرشيدي (ابن رشد) في القرن السادس للهجرة بعد أن تحول الفكر الكلامي إلي فلسفة خالصة وأكد الدكتور جابر عصفور انه لم يتخيل فارقا كبيرا بين

عقلانية الاعتزال عند ازدهارها في القرن الثالث للهجرة وعقلانية ابن رشد قرب مغيب التيار العقلاني عن الفلسفة العربية في القرن السادس للهجرة، ولازال يرى أن الجانب المزدهر في الحضارة العربية والإسلامية ظل قرين ازدهار العقل والعلم على سواء، ويؤكد في نظرة فاحصة لتراثنا يؤكد أن ازدهار العالم العربي كان مرتبط دائما بازدهار العقلانية الفلسفية، ولذلك كان ازدهار الفكر العقلاني هو الوجه الآخر لازدهار العلم في التاريخ الإسلامي، وحتى عندما انتقلت ثمرات الحضارة العربية والإسلامية إلى أوروبا، وأخذت أوروبا في ترجمة العقلانية العربية والإسلامية سبيلا لها إلى النهضة والاستنارة، وأخذنا نحن في الانحدار، وحين عدنا إليها فإننا عدنا إليها لنتعلم منها ما سبق أن أعطيناه لها.[22]

ويقول الدكتور جابر عصفور أيضا، أن العقلانية تعني الاحتكام إلى العقل والاحتكام إلى العقل يعني المساواة بين العقول وقبول اختلافها بوصفه أمرا طبيعيا وسنة من سنن الكون، ولم يكن من قبيل المصادفة أن ذهب ديكارت الفيلسوف الفرنسي إلى أن العقل هو أعدل الأشياء توزيعا بين الناس، فالله قد منح كل الناس أو الجميع عقولا يتساوون بها في معنى الإنسانية الملازمة للحرية، وغاياتها، ولا فرق بين واحد منهم عن غيره، إلا في مدى استخدامه لهذا العقل الحر في مجالاته المختلفة والغاية التي يمكن أن يصل إليها بهذا العقل، وإذا كان الله يثيبنا على قدر ما توجهنا إليه إرادتنا الحرة في مسعى عقولنا الحرة التي خلقها فينا خالقنا حجة علينا فإنه بالقدر نفسه الذي يسوي بين الناس فلا يميز بينهم إلا بمدى فعله الخلاق.[24]

يتميز الإنسان في العصر الحديث بأمرين مهمين أولهما الوعي العقلاني المستقل والوصول إلى حالة من الاستقلال الباطني والقدرة على نقد التراث، وثانيهما القدرة العلمية للتصرف في عالم الطبيعة وتغييره، وكل إنسان يعيش في العصر الحالي يحتاج إلى التماهي مع متطلبات العصر الحديث الذي يقع في المقدمة منها العقلانية، تلك العقلانية التي تأتي دائما انعكاس للواقع الزمكاني ولطبيعة العلاقات الاقتصادية والثقافية للمجتمع، فلكل عصر عقلانيته، لا بل لكل حقل من حقول الحياة عقلانيتها المستقلة، فهناك عقلانية برغماتية (عقلانية المصالح) وتظهر بصورة خاصة في المشاريع التجارية والاستثمارية، ويمكن تقديرها من خلال دراسة الكلفة، فكلما كانت الكلفة اقل والربح أكثر كلما تحققت العقلانية في المشروع، وهناك عقلانية كلامية، فالناطق الرسمي باسم الجماعة عادة ما يكون أعقلهم، وما نراه من مناظرات بين اوباما وميترومني إلا دليل قاطع على أهمية العقلانية الكلامية، فالناخب سيتأثر بتلك المناظرات الكلامية العقلانية وسيصوت إلى من أقنعة بالكلام العقلاني، وهناك عقلانيات أخرى في مجال الدين والفلسفة والتاريخ وحتى في المناهج البحثية، نحن اليوم نعيش في ظل دور كبير للعقل، فأصبح القبول المطلق بالعقل من أهم مميزات الحداثة، وهذه لم تكن موجودة في السابق فالعقل التراثي كان عقلا مشروطا وخاملا في أغلب الأحيان، إن توفر مساحات أكبر للعقل في الحياة، تتسبب أحيانا كثيرة وخاصة لدى النخب المثقفة حيرة من نوع خاص، فكثير ما يسمع المثقف آراء غير معقولة من أشخاص يوصفون

بالعلماء أو الخطباء أو المتكلمين من رجال الدين.[25] إذا كان العقل في جوهره عالمي الهوية إنساني الملامح، وأن العقلانية غير ذلك إذ هي تتعدد بتعدد الثقافات والأمم، ومن ثم فإن العقلانية العربية اليوم هي حقبة وجود يحمل في ذاته تناقضات العصر الذي يحياه، وهو الشيء الذي حمل الفكر العربي إلي محاولات عدة لتجاوز واقعه، من خلال تجاوز التراث، باعتباره ماضيا، وذلك باستلهامه مفاهيم من العقل الأوروبي ليتمكن من التوافق بين واقعه وواقع مغاير، حيث الفكر الطبيعي والتقني نتاج الفكر الأوربي الحديث، والأفكار الروحية، وعلى ذلك تم تكييف ومحاولة تبيئة للفكر التقني الأوروبي لكي يتوافق مع الأفكار الروحانية، كما أجريت عملية مماثلة للأفكار الروحية لكي تقبل التقنية، وأصبح هنا هو ما نأخذه من الآخر باعتباره متقدما وما الذي نتمسك به في تراثنا، ومن هنا كان التصادم بين الثقافة العربية الإسلامية والأفكار الأوروبية، فكان من نتاج هذه الصدمة دخول النزعة العقلانية إلى المجتمعات العربية الإسلامية دون مجابهة وذلك باستبدال التوازن القديم إلى توازن جديد أكثر فاعلية، وعليه لم تكتسب العقلانية شرعيتها كمفهوم عالي مستوى الفلسفي، والسياسي في الفكر العربي، ولم تكن امتدادا للفكر العربي، وإنما هي إحدى المسقيات المعرفية، التي فرضت نفسها في الفكر العربي، وبعد الصدمة تعرف الفكر العربي على العقلانية، هذا التعرف الذي كان ولازال حذر منها ومن تغيراتها، لأن الفكر مازال عاجزا عن المواجهة اللاعقلانية السائدة.[26]

إن محاولة لضبط مفهوم العقلانية كمفهوم ونظام قائم على الاستدلال أي العقل، في مقابل تضاد قائمة على المثالية أو الحسبية، كما أنها تضاد للعفوية القائمة على الدوافع العقلانية، كمصدر لكل فعل إنساني، ومحاولة التوضيح ما هو عقلي وما هو واقع والتركيز على العقلانية من خلال تطورها ونشأتها في الفكر الأوروبي الحديث الحامل لأولوية العقل، منطلقا في عدة معان متكاملة ومتفاوتة مقصيا بذلك من الواقع كل ما هو ليس عقلاني أو ذو طابع عقلية التأكيد على أن التطور الصناعي والاكتشافات العلمية المعرفية والجغرافية، كان لها دور كبير وضغط باتجاه كل جوانب الحياة استجابة لمطلب الكم والنوع في التراكم الصناعي.[27] ومنذ القرنين السابع عشر والثامن عشر تم وضع الأسس الفلسفية والسياسية للحداثة والتي تمثلت في الفكر الفرداني والعقلاني الذي كان ديكارت وفلاسفة التنوير أهم من دعا إليه، كما ظهرت في الدولة المركزية المعتمدة على التقنيات الإدارية الحديثة بدل الأساليب القديمة وكذلك بدايات وضع القواعد الأولية للعلوم الفيزيائية والطبيعية التي أدت إلى النتائج الأولى للتكنولوجيا التطبيقية.[28] ونجد أن العقلانية عرفت بها الحداثة واليها نسبت، ومازال الاعتقاد بهذا التشاكل والتناسب راسخ حتى سوي بينهما، فقيل الحداثة العقلانية أو عقلانية الحداثة. ذلك أن هيجل رأى أن من شأن أعمال عقل الإنسان الحديث لأول مرة في تاريخ البشرية، النظر في الآفاق وفي نفسه أن عمل على إزالة غرابة الذات في الطبيعة، وغرابة الطبيعة في الذات فالعقلانية هي مفتاح الحداثة وروح الإنسان الحديث، بعد سيادة العبث وترك العالم للصدفة والهوى، كما كان الحال عليه في العصور الوسطى، فها هو

الإنسان الحديث مازال يفعل وينظر ويتأمل ويبسط سلطته ويتسيد.[29] إن العقل هو الوسيلة الوحيدة إلى الوصول إلى إي شيء، فبالعقل نصل إلى المعرفة ونميز بين الأشياء، وبالعقل والعقلانية نميز بين الخير والشر ونصل إلى الحقائق والحلول والتفسيرات التي تساعدنا في حياتنا اليومية والعملية.

الهوامش:

1. عبد الله موسى، إشكالية العقلانية في الفكر العربي المعاصر دراسة في أعمال محمد عابد الجابري، تاريخ الاطلاع 2023/9/17، متاح في: journals.openedition.org
2. أندريه لالاند، الموسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001، المجلد الثالث، ص1172.
3. إيمان فتحي احمد، عقلانية ابن رشد، مجلة البحث العلمي في الأدب، كلية البنات جامعة عين شمس، تاريخ الاطلاع 2023/9/12، متاح في: jssa.journals.ekb.eg
4. المرجع نفسه.
5. محمد عباس، الفلسفة العقلانية عند ابن رشد، مجلة حوليات التراث، العدد 11 ،2011 ص1.
6. المرجع نفسه، ص9-10.
7. كايد عزات كايد شريم، الفلسفة الحديثة مذاهب وتيارات، ط1, عمان: الناشر وزارة الثقافة, 2021، ص55.
8. المرجع نفسه، ص57.
9. المرجع نغسه، ص59.
10. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، ص 209-210.
11. معضلة المعرفة ووحدة العقل عند كانط، تاريخ الاطلاع 2023/9/3، متاح في: https://www.mana.net،
12. بالتحويل من ايمانويل كانط، موسوعة عارف، تاريخ الاطلاع 2023/9/5، متاح في: https://3arf.org
13. محمد فتحي الشنيطي، المعرفة، ط4، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1971، ص127.
14. ويكيبيديا، مقال العقلانية في الفلسفة تاريخ الاطلاع 2023/9/8، متاح في: https://ar.m.wikipedia.org
15. المرجع نفسه.
16. المرجع نفسه.
17. حسام محي الدين الألوسي، العقلانية ومستقبلها في العالم العربي. ط1، عمان: دار القدس للنشر والتوزيع. ص 23-24-25.
18. يحي محمد، نظرية كارل بوبر والقضايا العلمية، مجلة فلسفة العلم والفهم، تاريخ الاطلاع 2023/9/8، متاح في: www.philosophyofsci.com
19. السيد شعبان، مشكلات فلسفية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2018، ص69.
20. نظرية الفعل التواصلي عند هابرماس الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، تاريخ الاطلاع 2023/9/17، متاح في: www.hindawi.org
21. . المرجع نفسه.
22. لاكاتوس. امري، الطريقة التي اقترحها امري لاكاتوس في فلسفة العلوم تاريخ الاطلاع 2023/9/17، متاح في: https://bolcheknig.ru

23. جابر عصفور، دفاعا عن العقلانية، تاريخ الاطلاع 2023/9/17، متاح في: https://gate.ahram.org.eg
24. المرجع نفسه.
25. احمد القبانجي، العقلانية في عصر الحداثة، مجلة الحوار المتمدن، العدد 3872، 2012، تاريخ الاطلاع 2023/9/10، متاح في: https://m.ahewar.org
26. عبد الله مسوي، إشكالية العقلانية في الفكر العربي المعاصر، دراسة في أعمال محمد عابد الجابري، إنسانيات لمجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، تاريخ الاطلاع 2023/9/20، متاح في: https://journals.openedition.owg
27. عبد الله مسوي، إشكالية العقلانية في الفكر العربي المعاصر، دراسة في أعمال محمد عابد الجابري، إنسانيات لمجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية. 14-15، 2001، ص27-34.
28. محمد نور الدين اناية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، نموذج هابر ماس، ط2، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 1998، ص110.
29. محمد الشيخ، فلسفة الحداثة في فكر هيجل، ط1، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008، ص25.